مفهوم الذكاء والقدرات العقلية

مقدمة

يعتبر الذكاء السمة التي اهتم بها العديد من الباحثين و المختصين منذ القدم، نذكر منهم على سبيل المثال الفلاسفة القدامى ارسطو و كانط. اعتبر ارسطو الذكاء امتداد للتكيف البيولوجي كما انه ثابت، لا يتطور. مع ظهور داروين و نظريته حول تطور الكائنات الحية و الإنسان بصفة خاصة، تم اعتبار الذكاء سمة متغيرة و متطورة بمرور الزمن عند الإنسان. كما تطرق Spencer الى الذكاء عند الفرد و اعتبره تكيف دائم و متواصل بين العوامل الداخلية و العوامل الخارجية.

كما لم يتفق المختصون في علم النفس حول تعريف موحد للذكاء و هذا ما ظهر جليا خاصة في تصور و تصميم الاختبارات النفسية. حيث تعددت التعاريف و المقاربات و النظريات و الاختبارات . فالبعض اعتبر الذكاء قدرة عقلية شاملة و البعض الأخر متعددة العوامل والأشكال.

سنتطرق في هذه المحاضرة الى اهم التعاريف الخاصة بالذكاء و القدرات لعقلية.

1--تعريف الذكاء

التعريف

ان كلمة "intelligence " مشتقة من الاتينية "intellegere" و التي تعبر عن الفهم و التفكير و التمييز.

التعريف الاصطلاحي

و يعرفه قاموس الجمعية الأمريكية لعلم النفس على انه " القدرة على استخراج المعلومات، والتعلّم من الخبرة، والتكيّف مع البيئة، وفهم التفكير والعقل، واستخدامهما بشكل صحيح ومنطقي" (2007، ص584)

العلم السائد حول الذكاء هو بيان جماعي صدر لأول مرة بهدف **إدخال بعض الصرامة العلمية** في جدل متزايد السمية والخطأ بشأن موضوع الذكاء.

عرف بينيه و سيمون الذكاء بصورة شاملة وعملية ، تظهر في القدرات السامية للفرد على انه القدرة على الفهم و اصدار الأحكام و تهدف الى التكيف مع المحيط. كما يعبران عليه (1916) : بدو لنا أن هناك في

الذكاء قدرة أساسية، فإن تغيرها أو غيابها يعد ذا أهمية قصوى في الحياة العملية. وهذه القدرة هي اصدار حكم، وتسمى أيضًا الحس السليم ، أو الحس العملي، أو المبادرة، أو القدرة على التكيف مع الظروف.

و في نفس السياق عرف STERN الذي كان له الفضل في استعمال مصطلح حاصل الذكاء الى تعريف هذا الأخير (1928) على انه " القدرة العامة على التكيّف مع الظروف الجديدة، مع الاستخدام الملائم لأدوات التفكير" . ان الذكاء يمثل اذا قدرة تعتمد على التفكير و تهدف الى التكيف مه متغيرات الظروف التي تواجه الفرد. ان الذكاء يمثل نتيجة تفاعل العديد من الاستعدادات**:** الاستعدادات التوجيهية و يقصد بها التصرف بهدف تحقيق غاية معينة، **و** الاستعدادات التكوينية التي تميز البنية الذهنية للفرد وتجهيزه العقلي.

أما Wechsler فقد عرف الذكاء عل انه " القدرة الكلية أو الشاملة للفرد على التصرف بشكل هادف والتفكير بعقلانية والتعامل بفعالية مع بيئته.(1958, p. 7)

كما يضيف ان السلوك الذكائي يتميز بالعقلانية و التفكير و التكيف.

ان الذكاء مرتبط بالقدرات التي يتم تنشيطها و كيفية التعامل فيما بينها لفهم المحيط و العالم و مواجهته.

خصائص الذكاء حسب Wechsler هي:

- لا يمكن تعريف الذكاء بعبارات مطلقة ولا مساواته بالقدرة المعرفية.

- يتطلب السلوك الذكي قدرات غير ذكية مثل الدافع والمثابرة، وكذلك القدرة على إدراك القيم الاجتماعية والجمالية والاستجابة لها.

- يجب ان يكون السلوك الذكي مقدرا، أي قابلا للقياس.

من جهته تطرق DAS (1986) الى تعريف الذكاء من وجهة نظر معرفية حيث إعتبره " المجموع الكلي لجميع العمليات المعرفية، يتضمن التخطيط وترميز المعلومات وتحفيز الانتباه. ومن بين هذه العمليات، تتمتع العمليات المعرفية اللازمة للتخطيط بمكانة أعلى نسبيا في مجال الذكاء. التخطيط هو مصطلح عام يشمل، من بين أمور أخرى، تطوير و تنفيذ هذه الخطط".

و يركز هنا DAS على اهم العمليات المعرفية منها القدرة على الانتباه و ادراك المعلومات و التخطيط او التنفيذ. أما Gardner فعرف الذكاء انطلاقا من تصوره له على انه : القدرة على حل المشكلات أو ابتكار منتجات تُقدَّر داخل إطار ثقافي واحد أو أكثر. و منه فالذكاء لا ينحصر فقط في القدرة العقلية و لكن يشمل كذلك كل الأنشطة التي يبتكرها الفرد في مجتمع معين.

رغم اختلاف الباحثون في تعريف الذكاء و اختلاف النظريات الى انه توصلت مجموعة مكونة من 52 مختص في الذكاء الى الاتفاق حول التعريف التالي " الذكاء قدرة عقلية جد عامة حيث تتضمن القدرة على التفكير و التخطيط و حل المشكلات ، التفكير المجرد و فهم افكار معقدة و الاكتساب بسرعة و التعلم من تجاربه" (Gottfredson LINDA 1997، ص13).

يقدم هذا التعريف جملة من مظاهر الذكاء تتمثل في العديد من الخصائص التي يمكن من خلالها ادراكه.

- يمكن قياس الذكاء كما تم تعريفه، وتقوم اختبارات الذكاء بقياسه بشكل جيد. فهي من بين أكثر الاختبارات النفسية دقة (من حيث الصدق و الثبات)، لكنها لا تقيس الإبداع أو الشخصية أو السمات الأخلاقية أو الفروق الأخرى المهمة بين الأفراد، كما أنها ليست مصممة لذلك.

- يتوزع الذكاء عند الأفراد من منخفض إلى مرتفع حيث يمكن تمثيله بمنحنى قوس (التوزيع الطبيعي).

-ان فهم الميكانيزمات العصبية اتي تلعب دورا في الذكاء مازات غير مفهومة بصورة دقيقة و الدراسات متواصلة لتوضيح عملها.

- يعتبر الذكاء من اهم العوامل التي تؤثر على أداء الأفراد في مختلف المجالات.

- يختلف الأفراد في الذكاء بسبب الاختلافات في بيئاتهم ووراثتهم الجينية. للتذكير تتراوح تقديرات الوراثة بين 0.4 و0.8 (على مقياس من 0 إلى 1)، ما يشير إلى أن الوراثة تلعب دورًا أكبر من البيئة في إحداث فروق الذكاء بين الأفراد و لكن هذا لا يعني أنه لا يتأثر بالبيئة.

-لا يولد الأفراد بمستويات ذكاء ثابتة. ومع ذلك، تستقر معدلات الذكاء تدريجيًا خلال الطفولة وتبقى عادة ثابتة بعد ذلك.

- على الرغم من أهمية البيئة في اختلاف الذكاء، فالباحثون لا يعرفون بعد كيفية تعديل حاصل الذكاء المنخفض بشكل دائم.

من جهته عرف Sternberg و Detterman (1986) ركز على الذكاء يشمل الاستعدادات التالية: التفكير المجرد ، التمثيل و حل المشكلات و اتخاذ القرارات.

يتطور الذكاء كلما نمى الفرد حيث يكون الذكاء مرتفع في السنوات 12 الأولى من العمر و يواصل الارتفاع الى سن 20 (ما بين 16 الى 25) حي يصبح ثابت ثم ينخفض تدرجيا انطلاقا من 60 سنة. اما

فيما يخص الجنس فيؤكد الباحثون انه لا توجد فروق كبيرة جدا بين الذكر و الأنثى من حيث الذكاء و لكن توجد بعض الفروق في بعض الاستعدادات فقط. يرتبط الذكاء بتفاعل العوامل الوراثية و المحيطية.

اهم خصائص الذكاء حسب Sternberg (2020):

- الذكاء، قبل كل شيء، هو القدرة العامة على التكيف مع البيئة.

- الذكاء ليس مجرد ما تقيسه اختبارات الذكاء ونظائرها. فهذه الاختبارات لا تقيس المهارات الإبداعية والعملية والمهارات ولا الذكاءات الموسيقية، والاجتماعية، والشخصية، والحركية-الجسدية، والطبيعية في نظرية الذكاءات المتعددة لغاردنر. كما أنها لا تقيس الذكاء العاطفي أو الاجتماعي.

- لا يمكن تقييم الذكاء بشكل دقيق من خلال الارقام. فهناك في الذكاء أكثر من مجرد قدرة عامة واحدة. وهناك العديد من الأشخاص ذوي معدل ذكاء مرتفع جدًا الذين يفتقرون تمامًا إلى المهارات المرتبطة بالحكمة.

- يختلف الذكاء عبر الزمن والثقافات (تأثير فلين). هناك بعض العمليات العقلية التي تُعد ضرورية لتكون ذكيًا في أي ثقافة تقريبًا، مثل التعرف على وجود المشكلات ، تعريف المشكلات، وضع استراتيجيات لحلها، ومراقبة عملية حل المشكلات.

-علاقة الذكاء و حاصل الذكاء

يجب التأكيد كما يعبر عنه GRÉGOIRE (2010)على ان الذكاء كقدرة عقلية تختلف اختلافا كبيرا عن حاصل الذكاء التي تقيسه أغلبية الاختبارات. ان الذكاء قدرة كامنة لا يمكن قياسها بصورة مباشرة و لكن يمكن قياس تظاهراتها و اثارها من خلال اختبارات و النشاطات التي تعرض على المفحوص.

ان الذكاء كقدرة شاملة تتضمن جميع القدرات التي يتوفر عليها الفرد حيث تسمح له بالتكيف مع مختلف الوضعيات. إنها شبكة ترتبط مع العديد من القدرات حيث ان قيمتها مرتبطة بقيمة هذه القدرات و مدى تفاعلهم و انسجامهم في أداء مختلف الوظائف (Grégoire 2021).

2-تعريف القدرات العقلية

القدرة، بالمعنى الواسع، تشير الى سلوكات قابلة للتقييم بشكل منطقي . تظهر عند الكائن الإنساني من خلال الكمية و النشاط او الاختبار الذي تظهر من خلاله.

و من جهته يعرف معجم علم النفس (الجمعية الأمريكية لعلم النفس) القدرات العقلية على انها القدرات التي يتم قياسها من خلال اختبارات تقيس لدى الفرد مهارات مثل التصور المكاني، وسرعة الإدراك ، والقدرة العددية، والفهم اللفظي، والطلاقة اللغوية، والذاكرة، والاستدلال الاستقرائي...الخ حسب النظرية أو الاختبار المستخدم.

للتذكير عند تحديد القدرات المراد تقييمها، من المهم التأكد من أن النشاط او الاختبار المصمم لقياس قدرة معيّنة لا تعتمد على مهارات أو معارف أخرى.

أن أداء الفرد في اختبار معين يعكس مستوى قدرته فيه.

انطلاقا من تعريف القدرة بمكن ان نوضح بعض خصائصها و هي:

- عدد القدرات العقلية أقل من عدد النشاطات او الاختبارات الفرعية التي يمكن تصميمها .
- لكل فرد مستوى معين و ثابت لكل من هذه القدرات العقلية.

-تؤثر كل قدرة عقلية على الأداء الفرد في نشاطات مختلفة.

- يجب البحث عن وسيلة تسمح بالتعرف على القدرات تؤثر في نشاط معين او اختبار معين .

3-أهمية قياس الذكاء في علم النفس العيادي

يشير GRÉGOIRE ان قياس الذكاء يهدف الى مايلي :

-توجيه الطفل الى مختلف المؤسسات من اجل التكفل العلاجي.

-التشخيص العيادي حيث ان قياس الذكاء يسمح بتشخيص العديد من الأضطرابت النفسية .

- قياس الذكاء يسمح باخذ صورة شاملة عن سلوك و قدرات المفحوص و سيره النفسي و اكتسباته.

-قياس الذكاء يسمح للمختص النفسي بملاحظة كيفية تعامل المفحوص مع مثيرات الاختبارات بالإضافة الى مواقفه المختلفة و ردود فعله و افنعالاته...الخ